اتحاد الشغل ساق في المعارضة وأخرى مع الرئيس

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

بعد إجراءات الخامس والعشرين من يوليو التي جمد بمقتضاها الرئيس قيس سعيد البرلمان ورفع الحصانة عن النواب وحل حكومة هشام المشيشي اكتفى الاتحاد العام التونسي للشغل بالصمت ومراقبة اتجاه الريح، فلا هو مع المنظومة السابقة التي استفاد من ضعفها وقلة حيلتها وفسادها، ولا هو مع سلطة جديدة لا يعرف كيف يحصل منها على امتيازه القديم "الاتحاد أكبر قوة في البلاد".

بمرور الوقت، وحين غاب الاهتمام الرسمي بالاتحاد وبكل الفاعلين في المنظومة القديمة، والذين يريد البعض منهم أن يلحق بالركب الجديد، أوحت تصريحات لقياديين في المنظمة النقابية بأن الاتحاد لديه خارطة طريق للخروج من الأزمة السياسية، وأن له برنامجا واضحا يحتاج فقط إلى "حوار وطني" يكون فيه هو المركز كما حصل في 2013، لكن ذلك لم يغير شيئا في اهتمام الرئيس سعيّد الذي رد بالقول "من يتحدث عن الخرائط فليذهب لكتب الجغرافيا وينظر في البحار والقارات".

وضغط نشطاء على مواقع التواصل من خلال حملة تطالب بهدنة اجتماعية لثلاث أو خمس سنوات من أجل مساعدة تونس على الخروج من الوضع الاقتصادي والاجتماعي الصعب الذي تركته المنظومة السابقة. ولأن الرسالة كانت موجهة بالأساس إلى الاتحاد، فإن قياديا مثل سمير الشفي الذي يمثل التيار الغالب في الاتحاد قال في ما نقلت عنه مواقع محلية ما معناه "لم تلده أمه من يسعى لفرض هدنة اجتماعية على الاتحاد"، وهي رسالة مباشرة للرئيس سعيد بأن المنظمة ستستمر على نهجها القديم في المطلبية تحت الضغط بقطع النظر عن الأزمة.

وجاءت التصريحات الأخيرة للأمين العام نورالدين الطبوبي لتظهر أن الاتحاد منزعج من الإهمال الذي تظهره مؤسسة الجمهورية تجاه المنظمة التي كانت تأمر وتنهى في الحكومات السابقة، تقترح وزراء وترفع فيتو في وجه آخرين، وتحصل على كوتا ثابتة من الحقائب والوظائف العليا.

وقال الطبوبي، خلال حضوره مؤتمرا لمناقشة "اتفاق التبادل الحر في قارة أفريقيا"، للصحافيين "نريد نظاما سياسيا لا يقوم على اليد المطلقة، لا عودة إلى الحكم الفردي"، وهي سردية تقترب كثيرا من سردية النهضة التي ترى في ما جرى يوم الخامس والعشرين من يوليو انقلابا يؤسس للحكم المطلق.

> **هناك توجه لإعادة الاتحاد إلى مدار تحركه التقليدي بعيدا عن سردية العظمة والتعامل معه كشريك من حقه أن يتفاوض حول الملفات التي تخصه وليس مع طرف سياسي يريد أن يحدد شكل المرحلة القادمة**

وفي التصريحات نفسها ترك الطبوبي الباب مواربا أمام التقارب مع الرئيس سعيّد حين قال "لا توجد قطيعة مع الرئاسة ولكن هناك اختلافا في وجهات النظر".

لكن قيس سعيد الذي بدا أن لديه الوقت الكافي لسماع ماذا يخبئ الأصدقاء والخصوم على حد سواء لم يلتفت إلى تصريحات الطبوبي ولم يعلق عليها وفتح الباب لتصويب العلاقة بين المنظمة والحكومة على قاعدة التعامل مع شريك اجتماعي من حقه أن يتفاوض حول الملفات التي تخصه وليس مع طرف سياسي يريد أن يحدد شكل المرحلة القادمة ويكون محورها كما كان في السابق.

ومن الواضح أن هناك توجها لإعادة الاتحاد إلى مدار تحركه التقليدي بعيدا عن سردية العظمة، وهذا ما يفسر ترتيب لقاء بين الطبوبي ورئيسة الوزراء نجلاء بودن، وهو لقاء لم يتحدث عنه أحد سوى الموقع الإلكتروني لجريدة "الشعب" التابعة للاتحاد والناطقة بلسانه.

ونقلت الصحيفة عن الطبوبي القول إن "رئيسة الحكومة تعول على الاتحاد، في إطار التضامن الوطني، من أجل إنقاذ البلاد من الوضع الصعب على المستويين الاجتماعي والاقتصادي".

وأضاف الطبوبي، وفقا للصحيفة، أنّه "لمس لدى رئيسة الحكومة نجلاء بودن رغبة في البحث عن حلول، وفي السعي للنجاح ومعالجة القضايا، خاصة على مستوى الديناميكية الاقتصادية والاستثمار من أجل التشغيل والتنمية".

وتقول أوساط سياسية تونسية إن قيس سعيّد لا ينظر إلى من وقفوا إلى جانبه في المواجهة السياسية مع النهضة منذ استلامه رئاسة الجمهورية على أنهم أصدقاء وأن من حقهم أن يحصلوا على مقابل ذلك الموقف حظوة لهم ولأحزابهم أو منظماتهم، وإنه يرتب الوضع حسب رؤية تقوم على ضرب فكرة توظيف الموقف السياسي للاستفادة من الدولة كما يحصل في السابق، وهذا ما يفسره تحذير نقلته مواقع التواصل الاجتماعي من رئاسة الجمهورية لحركة الشعب بالتوقف عن الحديث باسم الرئيس سعيّد، ومحاولة استثمار صورته وإجراءاته للظهور تحت يافطة حزب الرئيس.

والأمر نفسه مع قيادات التيار الديمقراطي بدءا بالأمين العام المستقيل محمد عبو وزوجته وصولا إلى الأمين العام الحالي غازي الشواشي الذين باتوا يطلقون تصريحات قوية ضد

قيس سعيد ومسار الخامس والعشرين من يوليو بعد أن كانوا لفترة قريبة داعمين لمسار تأويل الفصل 80 من الدستور، وقدموا مقترحات تفصيلية للرئيس سعيد، لكن ذلك لم يشفع لهم ولم يعطهم دورا في المرحلة الجديدة.

وبالنتيجة، فإن الرئيس سعيّد بدأ يغادر مربع الردود على من يستفزونه سياسيا، خاصة أن مشروعه قد تجاوز مرحلة ردود الفعل والحاجة إلى الإيحاء أو الإشارة إلى هذا التصريح أو ذاك لوضع الشارع الداعم له في صورة ما يتم ترتيبه للتآمر على الانتقال السياسي الجديد.

في الأيام الأخيرة بدا أن قيس سعيد لم يعد يهتم لمن يفتعل التشويش أو لفت النظر بحركات مسرحية سياسية، وهي مرحلة ضرورية لأن الناس استمعوا بما يكفي للرئيس ونقده لخصومه وفضحه لتفاصيل قضايا الفساد وذكر أغربها. والآن يحتاجون لأن تتقدم البلاد أكثر في حلحلة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والمناخ بات ملائما سياسيا وشعبيا وإقليميا.

وتقول الأوساط السياسية السابقة إن اتحاد الشغل لا يريد أن يتصدر قائمة المعارضين لقيس سعيد بعد أن تراجعت النهضة وحزامها المعارض، وإن تصريحاته هادفة إلى لفت نظر السلطة الجديدة التي وضعت أطراف المرحلة السابقة في خندق واحد وتنظر إليهم كمنظومة فساد وفشل وقوى شد إلى الوراء حتى وإن لم تقل ذلك بشكل علني.

وقد لا يكون الاتحاد قد اختار هذا الظرف بالذات لإطلاق تصريحات صدامية من بعض قيادييه تجاه الرئيس سعيد كخيار لتوظيف ما يقال إنها ضغوط خارجية واشتراطات من أجل الاستمرار في تقديم المساعدات لتونس، ومن بين هذه الاشتراطات القيام بحوار وطني يضم من بين من يضم اتحاد الشغل.

ربما قرأ الاتحاد الوضع السياسي الحالي على أنه موات للضغط من أجل استعادة دوره السابق، لكن النتيجة أن قيس سعيد يستمر في التعاطي مع الجميع على أساس دورهم في الأزمة الماضية بقطع النظر عن التصريحات سلبا أو إيجابا، وأن تصريحات الطبوبي والشفي قد تباعد بين المنظمة ورئاسة الجمهورية أكثر فأكثر وتجعل الاتحاد في مركب واحد مع حركة النهضة بالرغم من أنه يتبرأ منها في تصريحات ويتهمها بأنها سبب الأزمة خلال السنوات العشر الأخيرة.

في المقابل تسعى النهضة لاستثمار مواقف الاتحاد لتقول للدوائر الخارجية التي تراهن على ضغوطها إنها ليست وحدها في مواجهة الوضع الجديد وإن معها "الاتحاد أقوى قوة في البلاد".

مصر تستميل «الجهاد» لضبط علاقتها بإيران

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

ضاعفت مصر تواصلها مع حركة الجهاد الفلسطينية مؤخرا، وعززت العلاقات معها بما يفوق التباحث حول الملفات التقليدية الخاصة بإنهاء الانقسام بين الفصائل والمصالحة والحوار الوطني والأسرى، بما انعكس في شكل زيادة في معدل زيارات وفود الجهاد إلى القاهرة، وآخرها وصول وفد رفيع المستوى من قياداتها مساء الأربعاء، ولقاء كبار المسؤولين في جهاز المخابرات العامة بمصر.

تهتم القاهرة بجميع الفصائل الفلسطينية بشتى أطيافها بحكم الجغرافيا السياسية وأهمية قضيتها للأمن القومي، وتحتفظ بعلاقة جيدة مع حركة الجهاد ليس فقط لإحداث توازن مع حركة حماس التي تهيمن على المفاصل الرئيسية في قطاع غزة، بل لأنها الأكثر قربا إلى إيران والأكثر تناغما مع خطابها الراديكالي نحو إسرائيل، ولا ينكر الطرفان ذلك.

عندما دخلت حماس على خط طهران لم تتمكن من تطوير علاقتها بالصورة التي وصلت إليها الجهاد، حيث أصبحت علاقتهما واضحة ولا تناور بها الجهاد، كما أن ولاءاتها السياسية ثابتة إلى حد كبير وتحتل فيها طهران أولوية متقدمة مقارنة بحماس التي تدمن القيام بعملية تبديل وتوفيق في علاقاتها مع قوى إقليمية مختلفة، تتراوح بين مصر وتركيا وقطر، ثم تأتي إيران.

تدرك مصر طبيعة الروابط بين الجهاد وإيران منذ فترة، ولم تكن منزعجة منها سوى في الحدود التي تمثل تهديدا للأمن القومي، وهي قليلة، لأن طهران تفهم قواعد اللعبة مع القاهرة ولا تريد أن تدخل في صدام معها، وتمتنع عن إحراجها في هذا النوع من القضايا، لأن العلاقة بين مصر وإيران هادئة وتعتمد على صيغة غير مباشرة يرتضيها الطرفان مفادها تجنب الاحتكاك السلبي، وإدارته بطريقة أشبه بالحوار الصامت الذي يقول كل شيء أحيانا، ولا شيء في أحيان أخرى.

حرصت الجهاد على ألّا تتسبب علاقتها مع إيران في قلق لمصر، والتي تستطيع تحجيم هذه العلاقة إذا أرادت من خلال تحكمها في مداخل غزة ومخارجها كمقر رئيسي لحركات المقاومة وأجنحتها المسلحة ومن بينها الجهاد.

وتعلم القاهرة أنه في اللحظة التي تشعر فيها بأن طهران على مرمى بصر منها في القطاع، أو لجأت إلى توظيف الجهاد في المناكفة مع إسرائيل بما يفضي إلى إشعال الموقف وفتح المجال لحرب جديدة، سوف تتدخل مصر بما يخدم مصالحها العليا.

لم يصل الأمر إلى هذه النقطة بعد، لكن مع تصاعد الأزمة بين إيران وإسرائيل وما يوجهه كل طرف للآخر من ضربات سيبرانية وأمنية قد تلجأ الأولى إلى الاستفادة من علاقتها التاريخية بالجهاد، لاسيما إذا بلغ التصعيد مستوى يصعب السيطرة عليه، وتسخين جبهة غزة بما تملكه الحركة من أدوات عسكرية تستفز بها قوات الاحتلال.

تستطيع إيران التعاون والتنسيق مع الجهاد بدرجة تفوق قدرتها على ذلك مع حماس التي لديها من الكوابح ما يفرض عليها عدم الانسياق تماما وراء أهداف طهران، وهو مكمن الأزمة التي بدأت تشعر بها القاهرة وجعلتها توسع نطاق حواراتها مع الجهاد وعدم قصرها على القضايا الفلسطينية، فإيران والجهاد من الملفات التي تحتل مساحة كبيرة في النقاش الدائر في القاهرة، والذي تراعي فيه الحركة مخاوف مصر.

> **في ظل تحولات إيجابية واعدة مع كل من الولايات المتحدة وإسرائيل لن تصبح لغة الحوار الصامت بين القاهرة وطهران مقبولة وقد تجد مصر نفسها مضطرة إلى التعبير عن موقفها بوضوح**

بدأت طهران تحتل حيزا مع الحوارات بين الجانبين أكبر من ذي قبل، لأن العلاقة كانت قاصرة على الدعم المادي والتفاهم حول بعض الثوابت السياسية، لكن أن تتحول الجهاد إلى هدف لإيجاد نفوذ جديد لإيران أو استخدامها كوسيلة تساعدها على التسلل إلى قطاع غزة وتكوين ذراع عسكرية فيه فهذا ما ترفضه مصر بحزم، وتعمل على تقويضه قبل أن يتحول إلى واقع قد يهدم جدرانا أمنية شيدتها على الحدود مع القطاع.

يضرب رفع مصر مستوى التعاون أكثر من عصفور بحجر واحد، حيث يوجد توازن مع حماس التي تتعامل باعتبارها الطرف الأقوى حاليا على الساحة الفلسطينية وليس في غزة فقط، ويعزز قدرة القاهرة على التفاهم مع المقاومة، كما حدث في الحرب على غزة التي شنتها إسرائيل في مايو الماضي وتمكنت فيها مصر من وقف إطلاق النار، الأمر الذي يصب في خانة تعظيم دورها الإقليمي.

يأتي العنصر الجديد – القديم المتعلق بإيران، ويتعلق عنصر الحداثة فيه بتطلعات إيران إلى غزة ورغبتها في رفع درجة وجودها في القطاع وتحويله من الشق السياسي إلى العسكري من خلال استغلال علاقتها بالجهاد، وسط تبادل القصف المادي والمعنوي بين طهران وتل أبيب الذي يمكن أن تكون الجهاد طرفا فيه وأداة من أدواته.

ترفض مصر دوما أن تكون لإيران ميليشيا مسلحة على مقربة من حدودها، وزاد هذا الرفض مع ارتفاع مستوى الجاهزية العسكرية في الجيش المصري، واتساع نطاق التحديات الإقليمية على جبهات متعددة، وذلك تحسبا من أن تنتهي لغة الحوار الصامت معها إلى حوار صاخب يؤدي إلى انفراط عقد الهدوء الحاصل بين مصر وميليشيات إيران المنتشرة في المنطقة، فإذا نجحت طهران في تأسيس نواة لها في غزة سوف تتبدل أمور كثيرة، ويوضع ملف التعامل معها على طاولة معلنة.

في ظل تحولات إيجابية واعدة مع كل من الولايات المتحدة وإسرائيل لن تصبح لغة الحوار الصامت بين القاهرة وطهران مقبولة، وقد تكون مصر مضطرة إلى التعبير عن موقفها بوضوح، أو على الأقل تتبنى مواقف سياسية مغايرة لما هو سائد من انطباعات حول وجود حوارات غير مباشرة بينهما وفرت هذه الدرجة من الهدوء.

قد تجد مصر في تفكيك علاقة الجهاد بإيران خيارا صائبا في هذه المرحلة يمنع توغلها في غزة وتؤكد به أن هناك تغيرا حيال التعاطي معها يطمئن واشنطن وتل أبيب، وربما دولا خليجية ساورها عدم ارتياح تجاه موقف مصر من إيران.

يعتمد نجاح هذه المعادلة على رغبة القاهرة في تفكيك تحالف الجهاد – إيران وتيقنها من خطورة استمراره بالصيغة التي يمكن أن تمثل منغصا لها، ومدى ما تجنيه الحركة من مكاسب سياسية ومادية من عملية ميلها كثيرا إلى المنطق المصري على حساب إيران، والذي سوف يقود في النهاية إلى وقف الدعم بأنواعه الذي تتلقاه الجهاد من طهران، ويحمل دلالة على تغير لاحق في الحسابات الإقليمية التي أقامتها الحركة منذ سنوات.

يصعب أن يحدث هذا التطور بمعزل عن إدارة الصراع العربي – الإسرائيلي وتغليب حلوله السياسية على العسكرية، وبما أن هذا الطريق غامض وطويل سوف تكتفي مصر بضبط مفاصل العلاقة بين إيران والجهاد ووضعها في الحدود التي تبعدها عن التفكير في تحويلها إلى ميليشيا تابعة لها في غزة تنضم إلى سرب ميليشياتها.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al–Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk